

 **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**الجامعة المستنصرية - كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة**

 **الدراسات العليا\الماجستير**

منهج الشك

**تقرير مقدم الى الأستاذ الدكتور**

**ماهر محمد عواد**

**وهو جزء من متطلبات دراسة الماجستير**

**مقدم من قبل الطالبة**

**اًيه هيثم خزعل**

**1437هـ 2015م**

قائمه المحتويات

|  |  |
| --- | --- |
| الموضوع | الصفحة |
| **المقدمة** | 3 |
| **تعريف الشك لغة واصطلاحاً**  | 4 |
| **الشك المنهجي** | 7 |
| **الشك في التقليد** | 9 |
| **الشك في الحسيات** | 9 |
| **الشك في العقليات** | 10 |
| **أعلام الشك المنهجي** | 11 |
| **الشك المطلق** | 12 |
| **الشك الكلي** | 13 |
| **الشك الجزئي** | 15 |
| **فِرق الشكاكين** | 19 |
| **الشك الاعتقادي** | 22 |
| **الشك الجدلي** | 24 |
| **دور الشك في نظرية المعرفة عند الغزالي** | 28 |
| **الشك عند ابن خلدون**  | 31 |
| **منهج الشك عند بيكن**   | 32 |
| **المصادر**  | 33 |

**المقدمة**

إمكان المعرفة تبحث في قدرة الإنسان على تحصيل المعرفة من عدمه ، وهى أول المسائل أو القضايا في نظرية المعرفة ، ذلك أن نظرية المعرفة تهتم بثلاث قضايا رئيسة وهى : إمكان المعرفة ، وطبيعة المعرفة ، طرق ( مصادر ) المعرفة وأدواتها ، ولقد انقسم الفلاسفة نحو إمكان المعرفة إلى فريقين هما :

 **الأول**: ذهبوا للتشكيك في إمكانية تحصيل المعرفة الصحيحة، وإن كان بعضهم اعتبر الشك منهجًا أي خطوة على طريق البحث عن المعرفة. وهم أتباع مذهب الشك

**الثاني:** ويذهب أصحابه إلى استطاعة الإنسان على الوصول إلى المعرفة اليقينية، وبالتالي فإن العلم الإنساني لا يقف عند حد. وهم أصحاب مذهب اليقين .

فالفيلسوف ليس ملزماً على غرار عالم الطبيعة بأرجاع كل شيء الى الظواهر المحسوسة الخاضعة للملاحظة ، وهذا يعني أنه ليس ملزما بأن يقتصر على المنهج التجريبي 0

 **تعريف الشك لغة واصطلاحاً :**

**أولا : الشك في اللغة :**

لفظ " الشك " مأخوذ من شك يشك شكاً ويجمع على شكوك وفي معاجم اللغة توجد معانٍ كثيرة لمادة الشين والكاف منها :-

 **الشك بمعنى التداخل :** الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض وهو يدل على التداخل ، من ذلك قولهم شككته بالرمح وذلك إذا طعنته فدخل السنان جسمه  .([[1]](#footnote-1))

 **الشك بمعنى نقيض اليقين :** فالشك يستخدم كمقابل لليقين فتقول شككت في الأمر وتشككت فيه : أي ذهب يقيني ) وإنما سمي بذلك لأن الشاك كأنه شُك له الأمران في مشك واحد وهو لا يتيقن واحداً منهما، فمن ذلك اشتقاق الشك تقول : شككت بين ورقتين ، إذا أنت غرزت والعود فيهما فجمعتهم.

الشك بمعنى التردد: ويأتي الشك بمعنى "التردد" كأنيتردد الإنسان بين شيئين دون أن يتيقن بأحدهما ، وفي المصباح: (هو التردد بين شيئين سواء استوى طرفاهما أو رجح أحدهما على الآخر . .([[2]](#footnote-2))

والشك : حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف ,الشك بمعنى الالتباس: فيقال (شك في الأمر ، يشك شكاً إذا التبس لعدم وضوح الأمر) .([[3]](#footnote-3))

الشك بمعنى الاضطراب في القلب والنفس وذلك باعتبار(ما يعتري القلب من التردد المصاحب لمن يشك , ويلاحظ على هذه التعريفات اتفاقها جميعا على أن موضوع المعرفة أو الحقيقة مبهم أو غائب أو متردد فيه ولم يصل فيه الباحث إلى اليقين أو العلم بل لم يتجاوز حتى إلى الظن الراجح. وهذا ما ينصب على الموضوع المشكوك فيه أو الذي نقصت المعرفة عن الوصول إلى اليقين فيه وهو ما تعرضت له التعريفات التي تصف جهل أو انعدام المعرفة في الموضوع نفسه دون صاحبه (كتعريفه بنقيض اليقين والوهم والحسبان والتخمين والخرص) وفي هذه الحالة تكون الحقيقة ذاتها غائبة عند الشاك أو تكون المعرفة معدومة أو ناقصة نقصا جليا لا يصل الباحث فيه إلى هدى ونور وهذا القدر من السلبيةىيكون في مرتبة قريبة من الجهل وعدم العلم وهو ما سيعود بحالة نفسية على الباحث وهو ما تعرضت له بقية التعريفات مثل (التردد والريب والالتباس والاضطراب والحرج) التي تجعل الشاك مترددا مرتابا ومضطربا في نفسه وفي قلبه وهذا النوع من التعريفات فيه وصف دقيق لحال الشاك حيث أنه أثر عكسي لما وصل إليه من مستوى معرفي ومن قناعة قلبية فبقدر قوة القناعة وتوفر المعرفة تكون الحالة النفسية للباحث قوية متيقنة ومضطربة مترددة إن ضعفت القناعة وقلت المعرفة ولعل في ذكرنا للمعنى الاصطلاحي ما يزيد هذا المعنى ايضاحا وبيانا وبعد ذكر معاني الشك في اللغة بقي أن نشير الى أن الظن زائد في معناه عن الشك حيث أن الشاك يستوي عنده الطرفان بلا مرجح أما الظن فإن فيه ترجيحاً لأحد الطرفين ، مع إمكان الطرف  .([[4]](#footnote-4))

وبعد هذه التعريفات يمكننا أن نرتب المستوى المعرفي على النحو التالي: -

جهل: وهو عدم الادراك للمعلوم اصلا

شك: وهو التردد بين النقيضين بلا مرجح

ظن: وهو التردد بين النقيضين مع وجود مرجح لا يصل لحد اليقين

يقين: وهو الاعتقاد الجازم في الحقيقة وسيأتي له مزيد بيان في المبحث القادم

وبهذا نختم الكلام على التعريف اللغوي لمصطلح الشك والذي تبين لنا أنه يحتمل معن كثيرة ومتنوعة ولكنها جميعا تدور حول معنى الغموض والالتباس وعدم وضوح المعرفة بالاضافة للأوصاف والأعراض التي تعتري من يشك في أمر ما.

**الشك في الاصطلاح:**  .([[5]](#footnote-5))

توجد تعريفات عديدة لمصطلح الشك ولكنها في مجموعها تدور حول المعنى اللغوي للمصطلح ، وإن كان المفهوم يختلف من ناحية المجال العلمي والمعرفي الذي يستخدم فيه. والذي يعنينا هنا هو تعريفه من الناحية المعرفية والفلسفية لكون الشك له تعلق كبير بهما من ناحية مناقضته لها.

ويتضح من خلال التعريفات السابقة أن البعض منها يتجه إلى وصف حال الإنسان الشاك والبعض الآخر يصف حال الأمر المشكوك فيه وجميعها تصفهما بالتردد والإبهام وغموض الجانب المعرفي بالنسبة للشاك أو للموضوع المشكوك فيه. وقد اتخذ مفهوم الشك بعداً كبيراً ومؤثراً في المجال المعرفي عموماً فتنوعت مجالاته ومفاهيمه وصارت له مدارس تتخذه منهجاً وطريقاً لأفكارها واعتقاداتها فصار مصطلح الشك أو الشكاك في المجال المعرفي والفلسفي له مدلوله الخاص الذي يميزه عن بقية المذاهب والاتجاهات الأخرى.

 **أنواع الشك**

**اولا :الشك المنهجي:** .([[6]](#footnote-6))

وهو منهج يفرضه الباحث أو الفيلسوف بمحض إرادته لاختبار ما لديه من معارف ومعلومات محاولاً بذلك تطهير عقله من كل ما يحويه من أكاذيب ومغالطات ، وتدريبه على تكوين ملكة النقد والتحليل من أجل مناقشة المبادئ الأولية السابقة للوصول إلى مبادئ أولية أخرى واضحة ومميزة بحيث يقيم عليها قضايا يقينية .

والإنسان بطبيعته له بعض الأحكام والتصورات الخاطئة "وهذا الشك المنهجي خير طريقة لاتقاء هذه الأخطاء ، إنه خطوة تسلم إلى اليقين أو تؤدي إلى المعرفة الصادقة ، فهو وسيلة وليس غاية في ذاته ، يزاوله الباحث بإرادته ومحض رغبته ومن ثم يستطيع التحرر منه ، إنه نتيجة عزم من الباحث على أن يشك بنظام وبمقتضى مبدأ في أي فكرة يمكن أن تكون مثاراً للشك "

ويرى أصحاب هذا المنهج أن المعرفة الموضوعية ممكنة وأن في استطاعة العقل الوصول إلى اليقين والحقيقة ، وذلك عن طريق الشك في كل ما اكتسبناه من أفكار وعادات في الماضي ،فالشك في نظرهم هو الوسيلة الناجحة للوصول إلى اليقين وكانت بدايات هذا النوع من الشك عند اليونان وبالأخص عند سقراط وذلك عن طريق المنهج الذي نهجه في مناقشة محدثيه وهو التهكم: الذي يؤدي إلى تخليص العقل من الأخطاء والتوليد الذي يرشد إلى الحقيقة ، ففي مرحلة التهكم يبدو مع محدثيه وكأنه يتعلم منهم فيسلم بأقوالهم مصطنعاً الجهل ثم يأخذ في التساؤل والاستفسار وإثارة الشكوك في صحة ما يقولون حتى يتم تحرير عقولهم من الأخطاء والاهتداء للحق وقد تنبه أرسطو إلى هذا النوع من الشك وفرق بينه وبين الشك الحقيقي الهادم ، وأوصى بمزاولته عند البدء بدراسة أي بحث علمي ، حيث إنه وجد

علاقة ضرورية تقوم بين الشك والمعرفة الصحيحة ، وكشف عن عنصر الإيمان الذي يقوم مطموراً في ثنايا الشك النزيه ، ورأى أن من يريد أن يكسب ملكة تحصيل المعرفة يجد في الشك الذي يقوم على التروي والتبصر تحقيقاً لغايته ، لأن المعرفة التي تعقب الشك تكون أقرب إلى الصواب وإن الذين يقومون ببحث علمي من غير أن يسبقوه بشك يزاولونه، يشبهون الذين يسيرون على غير هدى فلا يعرفون الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكوه "فيما يقول هو نفسه "إن كل حكم يصدره باحث ينبغي أن يسبقه نظر في الأسباب التي تؤيده والمبررات التي تعارضه وفي القرون الوسطى استخدم القديس "أوغسطين" الشك كمنهج للوصول الى الحقيقة وذلك عن طريق استبعاده الحواس كمصدر للمعرفة حيث أنه وجد أنها كثيراً ما تخدعنا ثم وجه النظر إلى العقل فوجد أنه يستطيع إصدار أحكام صادقة علاوة على وجود بعض الحقائق التي لا سبيل للشك فيها كالقوانين المنطقية وحقيقة وجودنا وفكرنا وهنا نجد ان أوغسطين قد نبه الى وجود حقائق وقوانين ليست موضعاً للشك بكل صوره وأشكاله. وفي الفكر الإسلامي كان للمعتزلة دور كبير في نشر وتأصيل هذا النوع من الشك فقد قال الجاحظ في ذلك: "اعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له ، وتعلم الشك في المشكوك تعلماً ويمكن اعتبار الغزالي أعظم ممثل للشك المنهجي في الفكر لإسلامي وأكبر مؤسس لقواعده وأصوله حيث رأى أن الشك هو الذي يجعل الوصول إلى الحقيقة ممكناً ، ويقول في ذلك: "الشكوك هي الموصلة إلى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى. .([[7]](#footnote-7))

والضلال وقد مر الغزالي في أثناء شكه بخطوات يمكن ترتيبها على النحو التالي .([[8]](#footnote-8))

**أولاً: الشك في التقليد**

وقد أراد بهذه الخطوة التشكيك في المعارف التي تأتي عن طريق التقليد، وأول ما أثار انتباهه هو التقليد في العقيدة وفي ذلك يقول: "انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة ، على قرب عهد سن الصبا ، إذ رأيت: صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصير ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود: وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام ، فالغزالي ينفي صدق والتلقينات لأنها قائمة على تقليد الأشخاص، وقد دله الحس على أن الأشخاص يختلفون فيما يقولون إنه الحق ، وإلا كيف نعلل وجود أشخاص على أديان مختلفة يعارض بعضها البعض الآخر

**ثانياً: الشك في الحسيات**

وبعد أن هدم التقليد بالحس اتجه إلى الحس فيقول "فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكن أن أشكك نفسي فيها ؟ فانتهى بي طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً ، وأخذ يتسع الشك فيها ,ويقول أيضاً مبرراً الشك في الحس "من أين الثقة بالحواس وأقواها حاسة البصر وهي تنظر إلى الظل ، فتراه واقفاً غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة - تعرف أنه متحرك وأنه لم يتحرك دفعة بغته ، بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف. . . وانتهى به الأمر إلى أن بطلت ثقته بالمحسوسات.

**ثالثاً: الشك في العقليات**

وبعد أن فقد الغزالي منهجين كانا محل ثقته واطمئنانه لم تتوقف شكوكه عند هذا الحد بل بادره الشك من جديد في العقليات وذلك عن طريق الحس ويصور ذلك بقوله "فقالت الحواس: بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات: كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقاً بي: فجاء حاكم العقل فكذبني ؟ ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر ، إذا تجلى كذب العقلَ في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ،وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالته وتعزز هذا الشك عنده بقضية النوم والرؤيا ويقول في ذلك: "أما تراك تعتقد في النوم أموراً وتتخيل أحوالاً ، وتعتقد لها ثباتاً واستقراراً ولا تشك في تلك الحالة فيها، ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك أصل وطائل ؟ فيم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك ، بحس أو عقل ، هو حق بالإضافة إلى حالتك التي أنت فيها ، لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك: كنسبة يقظتك إلى منامك ، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها ، فإذا وردت تلك الحالة ، تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها .

وإذا طبق الشك المنهجي على الأسس العلمية المعتبرة فهو مرحلة عقلية مهمة للتفكير الصحيح فهو يجعلنا نبدأ بحثنا حذرين من أن تكون أفكارنا الأولى خاطئة أو منحازة أو شخصية. وهذا هو الذي يساعد التفكير الصحيح والنهضات الفكرية والبحث عن احتمالات وفروض جديدة مستندة للأفكار الأصيلة. .([[9]](#footnote-9))

**أعلام الشك المنهجي** .([[10]](#footnote-10))

اتبع كثير من الفلاسفة في العصور المختلفة أسلوب الشك المنهجي الذي هو ليس شكا حقيقيا بل هو منهج يفترضه صاحبة بإرادته ، وذلك لاختبار معلوماته وتطهير عقله من الأخطاء وهو وسيلة وليس غاية وهو خطوة للوصول إلى اليقين ، ومن أبرز أعلامه ما يلي:

يصف حجة الإسلام الغزالي في كتابه ( المنقذ من الضلال) كيف أصابه مرض الشك نتيجة المتناقضات الموجودة في عصره بسبب التقليد الأعمى للاعتقادات والقيم الموروثة ، ثم انتقل إلى الشك في الحسيات والعقليات, فرأى أنه لا بد من الشك فيها حتى يستقل بفكره ويكون رأيه. فلا خلاص إلا بالاستقلال والشك, ويعبر عن ذلك في قوله: إنالشكوك هي الموصلة للحقائق, فمن لم يشك لم ينظر, ومن لم ينظر لم يبصر, ومن لم يبصر بات في العمى والضلال".

وتمكن (الغزالي) من الوصول إلى مرحلة اليقين فيقول: "ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدور، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيَّق رحمة الله تعالى الواسعة.

وعلى كل حال فإن تجربة الغزالي تعد منهجا فلسفيا قويا رادا على الشك المطلق. إذ انه ضمن للأوليات العقلية والحسية ضمانا جعلها موثوقا بها كأوائل للبرهان. ومن ثم فإن الحقيقة موجودة والعلم بها ممكن، بل هو قائم على اليقين.

والشك عند ديكارت ومع عودة الدراسات الفلسفية إلى الازدهار في أوربا في القرنين السادس عشر والسابع عشر ظهرت بذور مذهب الشك المنهجي ولكن لم يتأطر هذا الشك بوصفه نظريةً وأسلوباً علمياً مقنّناً للبناء المعرفي إلا على يد ديكارت الذي يصفه بأنه (وسيلة للحصول على معرفة الحقيقة معرفة أكثر وضوحاً).

ورفض ديكارت الأخذ بالتقليد وأقام فلسفته على الشك المنهجي، فشك في معارفه جميعاً، حسية كانت أو عقلية، لاحتمال أن يكون مخدوعاً فيها، لكنه وجد ثمة شيئاً لا يقبل الشك، وهو حقيقة كونه يشك، ولم يكن ليستطيع الشك لو لم يكن موجوداً، إذن فهو موجود لأنه يشك، ولما كان الشك تفكيراً، فهو موجود لأنه يفكر. بهذا انتهى ديكارت إلى عبارته المأثورة **«** أنا أفكر، وإذن فأنا موجود **».** ومن هذه البداية اليقينية، انتقل إلى إثبات وجود الله، ثم إثبات وجود العالم.

وهكذا اتخذ ديكارت من الشك منهجا وطريقا موصلا إلى اليقين ، ومبرر الشك لديه أنه يلزم أن نضع موضع الشك جميع الأشياء بقدر الإمكان ، وإعادة النظر في الثوابت المعرفية بهدف بناء صرح معرفي متماسك ، وهذه هى حالة إفراغ الذهن من المعلومات والآراء المسبقة التى مرّ بها ديكارت حتى استقر على نقطة من اليقين في حقيقة تفكيره التي أسّس عليها حقيقة وجوده **«** أنا أفكر، وإذن فأنا موجود**»**

**الشك المنهجي** يتصف بالخصائص التالية:

* **منهجي** : لأن صاحبه يتخذه منهجاً في التفكير فقط دون أن يتمسك به كمذهب في حياته .
* **مؤقت:** لأن صاحبه يتخلى عنه بمجرد تحقيق هدفه (الوصول إلى اليقين).
* **وسيلة لا غاية**: فهو وسيلة مؤقتة لتحقيق أهداف أبعد منه وهو الوصول إلى اليقين.
**يؤدى إلى اليقين:** حيث اليقين هو الهدف الأساسي الذي نسعى إليه من استخدام الشك ؛ فالفيلسوف يبدأ بالشك وينتهي باليقين. .([[11]](#footnote-11))
* **بنَّاء** : لأنه يستهدف اليقين ومن ثم يحفز الإنسان على البحث، والنظر، والتدقيق فهو إذن نافع للفرد و المجتمع ويؤدى إلى البناء الحضاري .

**ثانيا :الشك المطلق**

وهو الشك الذي يتضمن استحالة المعرفة ، وانعدام الثقة في أدواتها ، ويكون في ذاته غاية لا وسيلة فيبدأ صاحبه شاكاً وينتهي شاكاً ، وهو يتفادى الخلافات التي تثور بين العلماء والفلاسفة فيلجأ للأمان ويؤثر الترجيح أو الاحتمال أو التوقف عن إصدار الحكم وذلك حسب التوجه الفلسفي المنبثق منه هذا الشك . .([[12]](#footnote-12))

النوع من الشك يمكن تقسيمه إلى قسمين رئيسين يندرج تحت كل قسم بعض الصور المتعددة المتفرعة منه وأبرز أقسامه ما يلي: -

**القسم الأول: الشك الكلي:** .([[13]](#footnote-13))

وهو الشك الهادم المتطرف الذي يكون الشك فيه عاماً شاملاً وهو على صورتين:

**الصورة الأولى**: الشك الكلي في المعرفة:وهو الشك الذي ينكر كل صورة من صور المعرفة أو وسائلها ، والمقصود بالمعرفة هنا المعرفة على أوسع معانيها دون مراعاة لنوعية العلم أو المعرفة التي يسعى المرء للحصول عليه أي بدون مراعاة لما إذا كان هذا العلم المطلوب علماً مطلقاً قاطعاً بصورة واضحة أو علماً قابلاً للتصحيح يمكن تعويضه بعلم آخر إذا وتتمثل هذه الصورة من الشك في الشك البيروني الذي

سبقت الإشارة إليه. وهو الشك الذي يتوقف عن الإيجاب والسلب ،وينكر إمكان المعرفة باطلاق وهذه الصورة من صور الشك هي الذي يطلق عليها العرب مصطلح (اللاأدرية) ووصفوهم بأنهم من يقدحون في كل من الحس والعقل ويتوقفون عن الحكم ، لأنه ليس بعد الحس والعقل من حاكم إلا النظر، والنظر فرع الحس والعقل فباطل ببطلانهما، وأنه لا ضرورة، فيجب التوقف في الحكم بوجود كل شيء وفي علمنا به وهذا التوقف عن الحكم من شأنه أن يورث حالاً من عدم القابلية للتأثر والسكينة الكاملة في النفس والتحرر من العاطفة وضرباً من اللامبالاة بالأشياء الخارجية وهذا ما سيكون له مزيد إيضاح في الحديث عن آثار الشك على الفرد والمجتمع .

**الصورة الثانية**: الشك الكلي في الحقيقة**:** .([[14]](#footnote-14))

وهو الشك الذي لا ينكر إمكان معرفة الحقيقة وحسب بل ينكر الحقيقة ذاتها. ويمكن جعل "الشك في الحقيقة "على وجهين:

* إنكار وجود حقيقة موضوعية مستقلة عن اعترافنا الشخصي وكل المحاولات التي بذلت حتى الآن لتوضيح مفهوم الحقيقة كانت محاولات قاصرة وهذا النوع من الشك هو ما يطلق عليه العرب (العنادية) وهم الذين يذهبون إلى أن إدراك حقيقة أي شيء - على فرض وجودها - فوق مقدور البشر، وأن كل ما ندركه من الأشياء إنما هو ظواهرها المتغيرة في كل آن وهم يعاندون في المعرفة ويدعون أنهم جازمون بأن لا موجود أصلاً وإنما نشأ مذهبهم من الإشكالات المتعارضة عندهم ؛ إذ مامن قضايا بديهية أو نظرية إلا ولها معارضة مثلها في القوة

- استبقاء مفهوم الحقيقة ، ولكن ليس باعتباره مفهوماً موضوعياً ، وإنما يؤخذ على أنه مفهوم نسبي له اعتباره للفرد وهذا النوع من الشك هو ما يطلق عليه العرب اسم(العندية ) "وهم الذين يذهبون إلى القول بأن كل شيء إنما هو بالنسبة إلى من عنده علم بذلك الشيء ، أي بحسب نظره فيه: إن حقاً فحق وإن باطلاً فباطل وهناك نوع من أنواع الشك يقترب من مذهب الشك الكلي ألا وهو الشك المنطقي الكلي "وهو الذي ينكر صحة أي نوع من أنواع قواعد الاستنباط التي بواسطتها يمكن أن يحصل المرء على أحكام جديدة من أحكام معينة ، وهو اتجاه خال من التناقض من حيث المبدأ طالما أنه لم يعط تعليلاً أو تأسيساً لوجهة نظره ، وذلك لأنه إذا أعطى مثل التعليل فسيكون ذلك بالنسبة له بمثابة تناقض

**القسم الثاني: الشك الجزئي:** .([[15]](#footnote-15))

وهو لا يتضمن إنكار المعرفة أو الحقيقة بإطلاقها أوبمعناها الكلي ، بل هو يختص ببعض الصور والاتجاهات دون البعض الآخر.

وهذا النوع من الشك يتطرق إلى إثبات جزء من الحقيقة ويكون من خلال إثباته وتعصبه لهذا الجزء رافضاً ومشككاً في الجزء المقابل والمضاد لما أثبته. ويندرج تحت هذا العنوان صور من الشكوك يمكن الإشارة إلى أهمها وهي كالتالي:

**الصورة الأولى**: الشك في الغيب أو في ما وراء المحسوس: وهذه الصورة من الشك تنفي وبكل بساطة كل شيء خارج عن نطاق المحسوس والمشاهد وتعتبر الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، وكل معرفة جاءت من غيرها فهي مرفوضة وغير صحيحة، ويسمون كل شيء خارج عن نطاق الحس "ميتافيزيق "وحتى نفهم هذه الصورة من صور الشك يجدر بنا أن نعرف الميتافيزيقيا فعند العودة إلى المصادر اللغوية نجد أنها مكونة من كلمتين هما:

تعني ما بعد. ميتا = ميتا وتعني الطبيعية. فيسايس = فيزيقيا وقد بدأ استخدام هذا المصطلح في القرن الأول قبل الميلاد وبالتحديد عند أرسطو طاليس الذي كان يعني به الإلهيات أو الفلسفة الأولى ومنه انتقل هذا التعريف إلى تلاميذه وشراح سواء في اليونان أو من العرب

والشك الميتافيزيقي يتجه إلى الإنكار والتشكيك في كل معرفة خارجة عن نطاق المحسوس ، وعلى هذا فهم يجعلون الحواس هي المصدر الوحيد للمعرفة، وأن ما لا يدرك بالحواس فليس بموجود و لا يمكن الاعتماد عليه ولا الوثوق به، ويجعلون كل معارفنا مكتسبة من الحس وحده. أما ما سوى الحس فهو عندهم وهم وخيال ولا يمت للحقيقة واليقين بأي صلة. ومن هنا كان الهجوم الكاسح الذي شنه أتباع المذهب الحسي على الأفكار الميتافيزيقية أو ما وراء المحسوس. .([[16]](#footnote-16))

ففي العصور القديمة تعرضت الميتافيزيقيا في كثير من مباحثها إلى الهجوم خاصة من أصحاب الشك المطلق.

**الصورة الثانية**: الشك في الواقع الخارجي للأشياء: .([[17]](#footnote-17))

وهذا النوع من الشك يستند إلى نظرية أن الحواس تخطئ باستمرار أو تكون غير سليمة في كثير من أحوالها وعلى هذا فلا يمكن الوثوق بها أو تأسيس معرفة يقينية مبنية على الحواس.

ورتبوا على هذه المقدمة أمراً آخر ألا وهو أن المعطيات التي نأخذها من الحواس كاللون والحرارة والبرودة وغيرها هي مجرد إدراكات فقط ولا يستلزم من هذه الإدراكات وجود واقع خارجي مستقل لهذه الأشياء.

فعندما يحس الإنسان ببرودة شيء أو بحرارته فإنه لا يمكنه التيقن إلا بهذه البرودة أو هذه الحراره والإحساس هو المعطى الوحيد الذي يمكنكم الوصول إليه ،فبأي حق إذن تبحثون خلف هذه الإحساسات عن ضمانة مادية ،الوجود هو الإدراك، وليس العالم شيئاً آخر سوى الإحساسات التي تتكون لديه عنه ويؤكد هذا المعنى أيضاً بقوله "كل ما يتردد عن وجود مطلق للأشياء لا صلة بينه وبين وجودها المدرك يبدو مجرداً تماماً من المعقولية ، فوجود الأشياء قائم في إدراكها، ومن المستحيل أن يكون لها وجود مستقل عن العقول أو الطبائع المدركة التي تقوم بإدراكها ويأتي ديفيد هيوم فيتابع القول على هذا الإنكار ويقول " بأي حجة تدلل على أن إدراكات الذهن يجب أن تكون حادثة عن أشياء خارجة ، وأنه لا يمن أن تحدث عن قوة الذهن نفسه ؟. . . إن الذهن لا يجد في نفسه سوى إدراكات كافلاً يستطيع أن يتحقق من ارتباط هذه الإدراكات بأشياء لا يبلغ إليها وهم لا يقضون في استدلالهم على نفي الوجود الخارجي للأشياء على عدم سلامة الحواس فقط بل هم يكابرون ويقولون إنه لا يمكن الاستدلال على وجودها

**الصورة الثالثة**: الشك التجريبي وهذا النوع من الشك ينحصر ويتركز في العلوم التجريبية العلمية المعتمدة على الحس والتجربة والمشاهدة.

فكما هو معلوم أننا نستقي المعرفة من الحس كما هو العقل وهذه المحسوسات يطبق عليها نظام التجربة والمشاهدة وعلى ضوء ملاحظتنا وإدراكاتنا نستنبط منها المعرفة والقوانين الطبيعية ولا شك أن هناك أسساً وقواعد عقلية يقينية النتائج هيأها الله سبحانه وتعالى للإنسان بها يستنبط ويقايس حتى يصل إلى معرفة ونتيجة مطمئنة. وهذه الأسس والقواعد موثوقة وأثبتت التجارب والمشاهدات صدقها وصحة نتائجها.

والصورة الشكية التي نعرض لها الآن تنصب على هذه الأسس والقواعد فتشكك فيها وفي صحة نتائجها أو ترفضها جملة وتنفي كونها قانوناً ومنهجاً يتوصل به إلى إثبات أي شيء.  .([[18]](#footnote-18))

ومن أهم القوانين التي تعرض لها بالنفي والشك ما يلي:  .([[19]](#footnote-19))

- إنكار السببية أو العلية :وقبل أن نشرح في بيان هذه الصورة الشكية أو الإنكارية يجب أن نعرف ما هي السببية ؟

فنجد أنها مأخوذة من السبب وهو في اللغة الحبل ثم استعير لمعنى الحادثة، التي يتولد عنها حادثة أخرى، فكأنما هي حبل موصول إليها، والمقصود بالسببية في الاصطلاح: هي ضرورة أن يكون لكل حادثة سبب أو هي الصلة والعلاقة بين الحادثتين المطردتين بانتظام وهذه الصورة الشكية ترفض هذه العلاقة بين السبب والمسبب أو بين العلة والمعلول وتجعل الأمر وكأنه اقتران وتجاور لحادثتين جعلنا طول تكرارها واقترانها سوياً أن نفهم أن بينها علاقة سببية وإلا فعندهم أنه ليس بينهما أي علاقة ولا سبب أبداً.

وهذا الإنكار لمبدأ السببية بدأ عند الأشاعرة من أمثال الباقلاني والجويني وأبي حامد الغزالي وفي هذا يقول الغزالي: "إن جميع أحداث الكون أفعال مباشرة لله سبحانه بدون تلك الأسباب ، فاحتراق الخشب الذي جمعه قوم إبراهيم لإحراقه بالنار وكونها برداً وسلاماً عليه لا فرق بينهما فيما عدا التداعي الذهني ومن هنا: فلا تحتوي السببية على أي(تأثير متبادل بين السبب والمسبب، وليست بالتالي مبدأ فطرياً )

- إنكار الاستقراء والتشكيك فيه وفي نتائجه والاستقراء الذي ينكره الشكاك هو: استنتاج قضية كلية من مقدمات جزئية والاستقراء من خلال الدراسة للجزئيات يصل إلى فرض القوانين الكلية وإصدار التعميمات فإذا رأينا مثلاً هذه القطعة من الخشب تحترق إذا عرضت للنار والقطعة الثاني والثالثة. . . الخ فإننا سنجزم بالاستقراء أن الخشب يحترق كلما وضع على النار.

وهؤلاء الشكاك يرفضون هذا الاستقراء واطراد الحكم فيه وذلك أنهم يقولون إننا وضعنا حكماً كلياً عاماً على جزئيات وعندهم لايمكن الانتقال من حكم جزئي إلى حكم كلي ففي المثال الذي ذكرناه سابقاً فإنهم يقولون ما أدراكم أن يأتي يوم لا تكون النار محرقة فيه للخشب حتى وإن كانت خبرتنا الحاضرة تؤكد إحراق النار للخشب ويعتبر هيوم من أكثر المنظرين لهذا لنوع من الشك وهو مبني عنده على رفض السببية في الأصل فهو يرى أن الأحكام التجريبية لا يمكن أن تكون ضرورية ولا يمكن اعتبار الاطراد في التجربة والاستقراء ، لأن الاستقراء لابد له من أساس حتى نحكم بضرورة الاطراد فيه ، ومجرد التتابع بين الأسباب والمسببات لايدل على ضرورة الاطراد بينها ، وعلى هذا لا يكون للاستقراء أساس

**فِرق الشكاكين:** .([[20]](#footnote-20))

اتفق الفلاسفة المسلمين على تقسيم الشكّاك إلى ثلاث فئات تجمع الشكّاك والمغالطين (السوفسطائيين) في جانب واحد وهم بحسب هذا التقسيم:

**1\_ فرقة اللاأدرية:**

وهؤلاء يشكون في كل شيء حتى في شكهم، وسمّوا بذلك لأن ردهم على كل سؤال (لا أدري) بل من مغالطاتهم قولهم (أنا لا أدري ولا أدري أنني لا أدري) أو (أنا أشك وأشك في أنني أشك) وهم يشكون في قدرة الحواس والعقل على الوصول إلى المعرفة الحقة، ولأن بلوغ اليقين في أي أمر محال عندهم فهم يدعون إلى تعليق الحكم على الأشياء ووقفها، وعدم المبالاة بأي شيء لأن ذلك - عندهم - هو السبيل إلى طمأنينة النفس.

**2\_ فرقة العنادية:**

والتسمية مأخوذة من معاندتهم في إنكار الوجود وحقائقه، وعدّ المعرفة محض أوهام وضلالات، فهم ينكرون حتى البديهيات، نشأ مذهبهم من الإشكالات المتعارضة، إذ ما من قضايا بديهية أو نظرية إلا ولها معارضة مثلها في القوة تقاومها. ومن العجيب أنهم يشكون بحزم ويقين يناقضان الشك.

**3\_ فرقة العِندية:**

وهم القائلون بأن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات، وأن الإنسان مقياس الأشياء جميعا.

وهذا يعنى بأن المعرفة تتعلق بالذات المدركة، فكل إنسان يرى الحقيقة والصواب من جانبه فقط، أي عنده، ومن هنا سميت بالعندية، وهو مصيب في ذلك لنسبية الحق فلا مجال للخطأ، لعدم وجود حقيقة موضوعية وهو رأي المغالطين أو السوفسطائيين القدامى وفي كل هذا إنكار للعلم والمعرفة التي هى صلة الذات العارفة بالموضوع المعروف، والذي هو الحقيقة الكلية الموضوعية .

**الشك المطلق المذهبي** يتصف بالخصائص الآتية :

* **مذهبي :** لأن صاحبه يتخذه مذهباً له في التفكير والحياة.
* **دائم:** لأن صاحبه يظل معتنقا له عن اقتناع ولا يفكر في تغييره
* **هدف في ذاته**: فإذا كان مذهباً عند الشخص و دائم لا يتغير فقد أصبح هدفاً في ذاته.
* **يؤدى إلى الشك** : فما دام هدفاً في ذاته فإنه لا يؤدى إلى نتيجة جديدة ؛ فصاحبه يبدأ بالشك وينتهي بالشك.
* **هدام:** وهذه نتيجة حتمية للخصائص السابقة حيث لابد من أن يتصف بالهدم دون البناء ، ومن ثم فهو يضر المجتمع ويؤدى إلى الانهيار الحضاري .

ومجالات الشك تختلف في دائرة الشك المطلق عنها في دائرة الشك النسبي. .([[21]](#footnote-21))

**1- مجالات الشك المطلق:**

أ- الشك في الحقيقة التي هي موضوع المعرفة، وهو شك في وجودها.

ب-الشك في إمكان معرفة الحقيقة (إن وجدت).

ج- الشك في إمكان إبلاغ المعرفة أو تداولها.

**2- مجالات الشك النسبي:**

بعد التسليم بوجود حقيقة وإمكان إدراكنا لها، يظل الباب مفتوحاً لألوان من الشك النسبي أو الجزئي ومن ذلك:

أ) الشك في طبيعة المعرفة: ومصدره تباين المذاهب في تكييف طبيعة المعرفة مما يوقف الفلاسفة موقف الشك تجاه هذا التباين.

ب) الشك في مصادر المعرفة: فإنكار كل مذهب ومدرسة فلسفية لمصدر أو أكثر من مصادر المعرفة هو شك في جدوى هذا المصدر، ومدى يقينية المعرفة المتأسسة عليه، فمن أصحاب المذاهب من يصب شكه على الحواس، ومنهم من يشك في العقل، ومنهم من يشك فيما سوى الحدس والإشراق، وكل ذلك من صور الشك.

ج) الشك طريق إلى اليقين:

وهو شك في المعلومات والآراء المسبقة، وهدفه إفراغ العقل توطئة لإعماره بحقائق يقينية تتأسس على بديهيات أولية، وهذا هو الشك الذي عاشه الغزالي، إذ ظل مؤمناً بالحقيقة الإلهية، كما آمن بالنبوة، واليوم الآخر، وجاء شكه شك باحث عن الحقيقة، مؤمن بوجودها.

**ثالثا: الشك الاعتقادي:** .([[22]](#footnote-22))

وهذا النوع من الشك هو الذي يستهدف العقائد الدينية التي أخبر بها الله سبحانه وتعالى وجاء بها الوحي المنزل على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم.

والشاك في هذا النوع إما أن يتجه إلى إنكار الدين بذاته فيرفض الوحي جملة وينكر بعث الأنبياء والكتب المنزلة عليهم من السماء أو يكون شكه جزئياً في بعض الأحكام والاعتقادات التي تضمنتها الشرائع والديانات ، فنجده ينكر الملائكة أو عذاب القبر أو يرد بعض النصوص النبوية الصحيحة ويجعل له حججاً وبراهين إما عقلية أو حسية ترد كل هذه الاعتقادات الصحيحة.

وهذا النوع من الشك يتخذ عدة صور يمكن الإشارة إليها هنا باختصار ومن ثم نورد الأمثلة عليها عند حديثنا عن وجود هذا الشك عند الفرق الكلامية والصوفية والباطنية وغيرها ومن أهم الصور ما يلي:

**الصورة الأولى**: الشك الذاتي في المعتقد:

وفي هذا الصورة يكون الشاك متشككاً في ذاته وفي اعتقاده الفردي حول هذه العقيدة فهو لم يصل إلى مرحلة الإنكار الكلي لها ولم يصل أيضا إلى مرحلة التسليم واليقين التام بهذه العقيدة فيبقى فيها حائراً متذبذباً لم يصل إلى نتيجة نهائية فيما يتعلق بالقبول أو الرفض لها فيؤثر الصمت حولها أو إيراد الحجج المتقابلة دون ترجيح أو إعلان الشك التام الصريح في هذه المسألة، وتتكافأ الأدلة لديه ولا يصل إلى معتقد واضح فيها.

**الصورة الثانية**: تشكيك الناس في العقائد:

وهذه الصورة ينهجها أعداء الدين؛ وذلك أنهم في سعيهم للقضاء على الدين ومحاربتهم لأهله ورغبتهم الشديدة في زعزعة اليقين لدى أصحابه يلجأون للتشكيك في الدين ذاته وفي كل مصادره بداية من وجود الله سبحانه وتعالى ومروراً بالتشكيك في النبو ة والكتاب ونهاية ببعض العقائد الدينية الشرعية التي جاء بها الدين.

وهذه الصورة هي التي ينهجها الكفار والمشركون وأعداءالدين منذ عهد النبوة إلى عهدنا الحاضر فهم في الأصل منكرون للدين أو لبعض العقائد التي جاء بها، ولكنهم يشككون الناس ويحققون بهذه الوسيلة التشكيكية صرف الناس عن دينهم واعتقادهم وزعزعة مصادرهم الدينية الربانية.

**الصورة الثالثة**: الإنكار للدين أو بعض العقائد: .([[23]](#footnote-23))

وهذه الصورة هي الظاهرة فأصحابها لا يتش ككون بل ينكرون ولا يتوقفون بل يجزمون بالإنكار ويجاهرون به ونحن نضعهم في مصاف الشكاك لعدة اعتبارات يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- أن الملحد أو المنكر للاعتقادات الدينية يعارض أمراً صحيحاً فطرياً يجعلنا نجزم يقيناً بخطأه ، وهو عندما ينكر كل هذه الأمور الفطرية الضرورية والتي هي في الواقع مملوكة لديه ونعني بها فطرية الإيمان بالله والمحسوسات والمعقولات وكل ما يتعلق بها من اعتقادات، فهو على هذا متذبذب بين ما وهب له من ضروريات وفطرة وبين إنكاره الصريح لها فيكون شاكاً بهذا الاعتبار

- أن المتتبع لأحوال هؤلاء المنكرين وخاصة لبعض العقائد الدينية يجدهم ينكرون أمراً معيناً ومن ثم يتناقضون فيثبتون نقيضاً لها مما يتساوى معه في مبرراته ، ولأنهم لم يقيموا أسساً منهجية واضحة فكل هذا جعلهم يضطربون ويتحيرون، فلأجل ذلك

فهم في الأصل متشككين، وليس لديهم قناعة واضحة بما ينكرون.

- أن كثيراً من هذه الإنكارات جاءت عند فلاسفة مذهبهم العام هو الشك، ولكنهم في بعض الاعتقادات يجتهدون في نفيها نفياً مباشراً صريحاً لكي تخدم مذهبهم الشكي العام، سواء كان شاكاً كلياً أو جزئياً معيناً في نوع معين من المعرفة الإنسانية.

**الشك الجدلي** .([[24]](#footnote-24))

لاحظ الغزالي في جيل مبكر تعدد المذاهب الفكرية واختلافه في بيئته الثقافية والفكرية. وقد وصفها "كبحر عميق غرق فيه الأكثرون وما نجا منه الا الاقلون, وكل فريق يزعم انه الناجي.. هذه الاختلافات دفعت الغزالي الى دراسة وبحث المذاهب الفكرية المختلفة للاطلاع على اسرارها, كي يميز بين محق ومبطل. حيث وجد ان الانتماء الفكري لمذهب معين ينتج عن التقليد وليس نتيجة للبحث والدراسة " حتى انحلت عني رابطة التقليد, وانكسرت علي العقائد الموروثة, على قرب عهد سن الصبا, اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر, وصبيان اليهود لانشوء لهم الا على التهود, وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام". وعند توصله الى هذه النتيجة اخذ يبحث عن حقيقة الفطرة الاصليةالتي تشكل الاساس لبداية البحث عن الحقيقة.

وتكتسب هذه العقائد الموروثة عن الاباء والمعلمين بواسطة التقليد المنافية للتفكير المستقل والبحث الهادف الى الوصول الى الحقيقة. لذلك نراه يوصي احد تلاميذه "جانب الالتفاف الى المذاهب, ولاتكن في صورة اعمى تقلد قائدا يرشدك الى طريق وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك بانه اهلكك واضلك عن سواء السبيل, وستعلم في عاقبة امرك ظلم قائدك. فلا خلاص الا في الاستقلال".هذه دعوة واضحة للبحث عن الحقيقة بصورة ذاتية ومستقلة, وعدم اتباع مذهب معين باعتباره يملك الحقيقة ويوفرها لاتباعه. لكن الغزالي يؤكد هنا على اهمية المنهج في التفكير الصحيح وتهافت اساليب التلقي والنقل. .([[25]](#footnote-25))

الباحث عن الحقيقة يجب ان يكون مستقلا وغير منتمي لمذهب معين " وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب .... فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا". .([[26]](#footnote-26))

معرفة الحقيقة بواسطة المذهب تقوي عند المقلد ميول التعصب وتصعب عليه رؤية الحقيقة او التميز بين الحق والباطل, فهو لا يستطيع رؤية الحق خارج الاطار الفكري الذي ينتمي اليه, وهو ينفي امكانية وجود الحقيقة في مكان اخر ويعتقد بوجود الحقيقة فقط في اطاره.

يصف الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" تجربته الشخصية في البحث عن الحقيقة, والذي يعتبر مراجعة ذاتية وتقييما لتطوره الفكري. وتكمن اهمية هذا التقييم في كشف ارائه ضد التقليد بكونها احدى العوامل المهمة في تطوره الفكري. ويلاحظ استعماله لضمير المتكلم في وصف تجربته الذاتيه, وبالرغم من ان مسار كشف الحقيقة الموصوف كان فرديا, الا انه يستطيع كل انسان ان يجرب هذا المسار ويقول(( Shafaqبان الهدف الاساسي عند الغزالي, لم يكن تعبيرا عن الشك او البحث عن اصول الدين, انما ليؤسس بحثا معرفيا بناءا وحقيقيا. هذا البحث هو نتيجة لحبه للحقيقة, وكان متعطشا للتعلم وهدفه الحقيقي كان الوصول الى الحق.([[27]](#footnote-27))

يقرر الغزالي بان اهمية الفكرة تنبع من الفكرة ذاتها, فالحقيقة تبقى حقيقة بغض النظر من هوية قائلها. وان المهمة الملقاة على عاتق المذاهب ورجالها هي البحث عن الحقيقة, بمعنى انهم لا يعتبرون بذواتهم معيارا للحقيقة. "وهكذا تصبح انجازات الوعي والمعرفة الانسانيتين مقبولة بحد ذاتها, مما يؤدي بدوره الى صياغة المبدأ الدقيق في التعامل الفكري مع الحقائق من خلال تغييب الثقل التاريخي والعقائدي لها... انه يرفع ممارسة اظهار اهمية الفكرة بحد ذاتها فوق كل العوارض العقائدية والمذهبية ليحولها بالتالي الى مستوى المبدأ النظري"وهذا يعتبر تحطيما للاطر التقليدية في الوعي, واشتغالا في المادة الموضوعية التي تعطي مساحة من حرية التفكير المستقل غير متعلقة بعوامل اخرى.

ان رفض الغزالي للتقليد وتأكيده على التفكير المستقل يتضح من خلال تأييده لمبدأ الاجتهاد وقد عمل على تأسيس الفقة على قواعد المنطق وتطوير فكرة الاحتمال الظني كي تكون النظرية مرتبطة بتطور الحياة الدائم, وهكذا لا يبقى للتقليد اي معنى لوجود الحاجة الدائمة للاجتهاد واستقلالية الاحكام.

يعرض الغزالي فكرة الفطرة الاصلية التي تسبق كل المذاهب والاديان الانسانية, باعتبارها الحالة او الصورة الاولى التي خلق عليها الانسان, ويهدف هذا الرجوع الى البداية الى بحث حقائق الاشياء كما هي. لكنه لا يستطيع الوصول الى الفطرة لان التراث المذهبي والعقائدي يشكل حاجزا وحجابا تفصل بينه وبين الفطرة. لذلك كان نقده لاسلوب التقليد بكونه حاجبا عن رؤية الحقيقة كما هي. .([[28]](#footnote-28))

 يعتقد الغزالي بان الوصول الى حقائق الاشياء تتطلب معرفة ما هو العلم الحقيقي؟ فظهر له ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك وهذا يعني ان الغزالي يشك بكل علم غير يقيني, واليقين هو المعيار لحقائق الاشياء, ويكون العلم حقيقيا فقط عندما يكون يقينيا قطعا ويثبت امام كل ادعاء شكوكي, وهنا يضع الغزالي معيارا صارما لقبول الشىء المعلوم. بحيث لا يترك مجالا للشك او الاحتمال لامكانية وقوع الخطا, بل يستلزم امانا كاملا من الخطا.

ويضرب الغزالي مثالا يشرح من خلاله مستوى الامان المطلق بالعلم اليقيني: "بل الامان من الخطا ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وانكارا فاني اذا علمت ان العشرة اكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل: لا بل الثلاثة اكبر من العشرة بدليل اني اقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم اشك بسببه في معرفتي, ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه, فاما الشك فيما علمته, فلا" وهكذا لا يمكن لبرهان مهما كان ان يشكك بالعلم اليقيني, ومن الجدير ذكره ان مثال "قلب العصا الى ثعبان" هو بمثابة برهان حسي ظاهر, بالمقابل نجد ان مثال العلم اليقيني – العشرة اكبر من الثلاثة – هو مثال عقلي مجرد. هذا المثال الحسي ليس مجرد مثال الذي بواسطته يمكن الشك بالعملية العقلية, انما هو مثال الاكثر تطرفا الذي يمكن من خلاله نقض العلم اليقيني. بمعنى ان العلم اليقيني الذي يبحث عنه الغزالي هو بمستوى المطلق الذي لا يمكن الشك به ابدا. وفي حالة الامان المطلق يستطيع العلم اليقيني ان يثبت في الاختبار الصعب حتى بوجه الافتراض الميتافيزيقي الخارج عن عالم الحس. .([[29]](#footnote-29))

**دور الشك في نظرية المعرفة عند الغزالي**.([[30]](#footnote-30))

نلاحظ ان مهمة الشك الاساسية عند الغزالي هو الوصول الى الحقيقة كما هي, فهو أداة او منهج معرفي يهدف الى تنقية (غربلة) المعرفة الانسانية من أخطائها وجهالاتها, وليس منهجا لكشف عجز المعرفة والتشكيك بمجمل ابداعاتها وانجازاتها. فالشك اداة تكشف الاخطاء المعرفية التي يكتسبها الانسان من مصادر غير موثوقة, والسعي الى تأسيس المعرفة على اسس يقينية. لذلك يكون الشك موجها نحو المنهج وليس للمعرفة ذاتها.

 ويوضح الغزالي وظيفة الشك قائلا: "اذ الشكوك هي الموصلة الى الحق, فمن لم يشك لم ينظر, ومن لم ينظر لم يبصر, ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال. لا يكتفي الغزالي بتحديد دور الشك كمنهج يوصل الى الحقيقة, انما يحذر من العواقب السلبية التي تنتج بسبب عدم استخدام هذا المنهج, وهي البقاء في العمى والضلال.

بالاضافة الى ربطه بين الشك والوصول الى الحق, يؤكد الغزالي على منهجية كشف الحقيقة التي تبدأ بالشك وتنتهي بالوصول الى الحق. واذا ما امعنا النظر في ربطه بين الشك والنظر من ناحية وبين النظر والبصر من ناحية اخرى, نستنتج ان الشك يعني عملية التفكير, لان النظر يعني الدراسة العميقة التي تعتمد على العقل, والبصر هو الدراسة المعتمدة على الحس. وهذا يعني ان كل دراسة عقلية او تجريبة تهدف الى الوصول الى الحقيقة, يجب ان تعتمد على منهج الشك الذي يميز الحق من الباطل او الصحيح من الخطأ.

 فالشك منهج يسعى الى تأسيس المعرفة على اسس يقينية, يتم الوصول اليها بواسطة التفكير النقدي الذي يعنى بمراجعة المعطيات المعرفية وتمحيصها من الاخطاء. فالغزالي يقوم بعملية تفكير من جديد في مصادر المعرفة – التقليد, الحس والعقل – وهي عملية مراجعة نقديه وتقييم جديد لهذه المصادر.

يحاول الغزالي من خلال هذا المنهج النقدي تطهير الموروث المعرفي المكتسب بواسطة تقليد الاباء والاساتذة من الاخطاء والضلالات. فهو لا يسعى الى الغائه او نفيه, انما فحصه واختباره باليات التفكير الصحيح, حيث يتم قبول المعرفة الصحيحة ورفض المعرفة المكتسبة بواسطة التقليد والتلقي بدون نقد واختبار.

هذا المنهج النقدي يمكنه كشف المعارف الباطله والتي اصبحت جزءا من الموروث الحضاري للامة, وتنتقل من جيل الى اخر كمعارف صحيحة ومقبولة, وفي بعض الاحيان قد تعتبر "مقدسة" خارج دائرة التفكير المسموح بها. وهي بالحقيقة معارف غير صحيحة ويظهر خطأها عند اخضاعها لاليات التفكيرالنقدي.

ثم ينتقل الغزالي الى نقد الحس والعقل كمصادر للمعرفة, وهما اكثر يقينا من التقليد. واذا ما خضعا الى النقد يتبين لنا عدم يقينية المعارف المكتسبة من الحس والعقل. والتشكيك في هذه المعارف لا يعني سوى اعادة التفكير بها من جديد وتأسيسها على قواعد يقينية وصحيحة, وليس الهدف مجرد التشكيك لذاته وكشف عجز الحس والعقل.

 ويمكن القول ان استخدام منهج الشك هو دليل واضح على وجود الوعي عند الغزالي لان التفكير يعني الادعاء بوجود الوعي. ونلحظ ان مستوى الوعي الراقي الذي وصل اليه الغزالي هو اعادة التفكير في التفكير والذي يعني وعي الوعي او تحويل مادة التفكير الى صورة تفكير او اداة تفكير, فالغزالي يقوم بعملية تفكير نقدية لمادة معرفية سبق التفكير بها, ويعمل على تحويلها الى منهج للتفكير. وهذه العملية تعتبر ارقى مستويات التفكير والوعي المعرفي, وهي نقيض الاجترار المعرفي الذي يحفظ المضمون ويجمده.

ومعنى الشك بالمعارف الحسية والعقلية والتي تمثل كل موجود في العالم, واثبات عدم يقينية هذه الموجودات هو عمليا الغاء لها وارجاعها الى التفكير, وتأسيس كل شىء على التفكير. فهو يشك في كل شيء, الا شيئا واحدا لا يمكنه الشك به وهو الشك بانه يشك, اي انه لا يستطيع الشك بانه يفكر, وهذا هو وعي الوعي. اذا يقوم الغزالي بعملية الغاء للعالم كله بواسطة الشك المنهجي, ويبقي على التفكير لوحده. فهو يلغي المضمون المعرفي ويبقى مع طريقة التفكير, وهذا يعني انه ليس هنالك وجود سوى للتفكير. وهنا لا يمكن الحديث عن "تطابق" لان التفكير هو( شىء) اي حقيقة صوريه. ووجود اداة التفكير لا يعني بالضرورة تطابقها مع المضمون المعرفي الموجود.

يحصر الغزالي نفسه داخل دائرة التفكير, ويحاول ترتيب افكاره للخروج منها. فاتضح له ان هناك افكار ضرورية (ماهيات) والتي تملك وجودا مستقلا وضروريا داخل الوعي. بمعنى انها تفرض نفسها على الوعي من داخل الوعي وليس من خارجه وهي ليست من الانا المفكرة. فهو يجد مثلا فكرة الله داخل الوعي, لكن هذه الفكرة لم تكن نتيجة للتفكير, وانما وجودها كان ضروريا ومفروضا على الوعي من داخله. وهذا ما عبر عنه الغزالي بالنور الالهي المقذوف في الصدر ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام, بمعنى ان هذه الماهيات اوالافكار لم تنتج عن التفكير العقلي, انما وجودها بالوعي كان فطريا. وهذا ما يفسر محاولة الغزالي الرجوع الى الفطرة الاصلية.

فهو يشك بكل موجود لاعتقاده بوجود شيء هو البداية, ويحاول الغاء كل شىء موجود للوصول الى نقطة البداية, لان هذه الموجودات تشكل حاجزا لكشفها. وسبب هذا السعي الدؤوب الى البداية لانها تشكل الاساس اليقيني لكل الموجودات. فالوصول اليها يعني الوصول الى اليقين وهو مرتبط بالوعي الذاتي, لذلك يمكن الانتهاء اليه وليس الابتداء منه. .([[31]](#footnote-31))

لذلك يقوم الغزالي بعملية نقد شاملة وتقييم جديد للعلوم التي اكتسبها عن طريق التقليد او الحس والعقل, وهو بذلك يزيل كل التراكمات العقائدية, الاجتماعية والابستمولوكية التي تغطي الفطرة الانسانية. وهو يسعى للوصول الى هذه البداية لكونها الحقيقة اليقينية الوحيدة التي يمكن ان يؤسس عليها يقينية الموجودات الاخرى.

 من الوهلة الاولى يبدو ان هذا الاسلوب متناقضا لان العقل العادي يعرف اننا نبدأ من البداية وليس ننتهي اليها. لكن التفكير النقدي يتعدى "اعتيادية التفكير" باعتباره منهج وليس مجرد مضمون, لذلك نلاحظ ان الغزالي يدرك ضرورة واهمية الانتهاء الى البداية لانه لا يمكن الوصول اليها الا بعد عملية نقد وتقييم لكل الموروث المعرفي التراكمي, وهو حفر بأدوات معرفية في طبقات المعرفة الانسانية حتى يصل الى حقيقة الفطرة الاصلية التي شوهت بسبب التراكمات الكثيرة عبر التاريخ الانساني.

**الشك عند ابن خلدون** .([[32]](#footnote-32))

ومن العلماء العرب الذين ذهبوا الى هذا المنهج ( منهج الشك ) ابن خلدون حيث أتبع في مقدمته منهجا بحثيا علميا رائدا في علم الأجتماع سبق تلك المناهج البحثية في علم الأجتماع التي وصل اليها علماء الأجتماع في أوربا في العصر الحديث ويقوم ذلك المنهج على قواعد ست ومن اهمها :

الشك والتمحيص :

وقد تأثرابن خلدون ببعض مفكري وعلماء الاسلام ومن ضمنهم ابو حامد الغزالي ، فوضع الأدراك العقلي في معرض النقد ورفض المسلمات العقلية لادراكه أمكانية تعرض ذلك للخطأ والصواب ، كالأدراك الحسي تماما وشكك كذلك في صحة الكليات العقلية ، الممنطقة عن علماء المنطق وأعتباراً أن العلم الصحيح هو الذي يستمد حقائقه من الأشياء الجزئية ولايمكن التواصل الى العلم الصحي إلى بالانتقال من الجزئي الى الجزئي ، ولعل ثقافة ابن خلدون الاسلامية كفقيه وقاض وتعمقه في دراسة علم الحديث وطرق التثبت فيه من صحة الحديث كانت وراء نمو المنهج العقلي عنده ، ولكن ينبغي ان نفرق بين الشك المنهجي والشك المطلق عند إبن خلدون فقد كان باحثا مدققاً وناقداً محققاُ ولكنه وللمرة الأولى استخدم ذلك المنهج العقلي في علم الأجتماع بعد أن كان مقصوراٌ على الفقه والكلام 0 ومن خلال هذا المنهج كانت نظريته في تفسير الظواهر الأجتماعية وتبدل أحوال الممالك والأجيال وربط ذلك كله بعلل والأسباب 0

**منهج الشك عند بيكن**  .([[33]](#footnote-33))

دعا بيكن الى انواع من الشك ، هو أقرب ما يكون الى الشك المنهجي فهو يقول أن أتساع المجال الشك له فائدتان ، الأولى تكون كالدرع الواقي للفلسفة من الأخطاء والثانية تكون كحافز للاستزادة من المعرفة 0 وفي كتاب ويخصص مقالة للحديث عن الشك ، يؤكد فيها ضرورة اصطناع نوع من الشك وقاية للأنسان من كثير من المعارف الزائفة 0

ودافعا قويا للاستقصاء والاستزادةمن العلم ويهاجم الشك القديم الغير هادف ، والشك الذي لايلتزم بالموضوعية والاعتدال فيضع سقراط مع السفسطائيين لأنكان يريد أن لايثبت شياَ وإنما اراد فقط تفنيد ما يأتي به الأخرون فقط

المصادر

إبراهيم مصطفى؛ المعجم الوسيط ,ط1 ,مجمع للغة العربية .

 احمد براهيم محمد ؛الشك اسبابة واثارة وعلاجة ,رساله ماجستير,جامعة ام القرى,2007.

اراهيم قريط؛ النظرية المادية في المعرفة ,دار دمشق للطباعة والنشر ,بدون تاريخ

الإيجي؛ المواقف بشرح الجرجاني، القسطنطينية، الجزائر، 1286 ه .

توفيق الطويل ؛ أسس الفلسفة, دار النهضة العربية القاهرة ,1990.

جميل صليبا وكامل عياد ؛الغزالي المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال, دار الاندلس, بيروت,1994.

الزنيدي عبد الرحمن بن زيد؛ مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1992.

عبد الحليم محمود؛ المنقذ من الضلال للغزالي ,ط8,دار الكتب الحديثة,1974.

علي بو ملحم؛ الغزالي ميزان العمل, دار ومكتبة الهلال, بيروت, 1995.

عمر رضا كحالة؛ معجم المؤلفين, مطبعة الترقي دمشق ,1960.

الغزالي, احياء علوم الدين, ج3, دار الفكر, بيروت.

 محمد زقزوق؛ الفلسفة ومشكلة الشك ,مجلة الحكمة ,العدد الأول السنة الأولى ,1976.

 قيس هادي احمد :نظرية العلم عند فرانسيس بيكن ، دار الشؤون الثقافية ،ط2،بغداد,1986

صالح حسن الداهري :أساسيات علم الإجتماع النفسي التربوي ونظرياته،ط1،دار ومكتبة الحامد للنشر،عمان ،2010

محمد عقيل المهدلي؛ المنهج الفلسفي عند الغزالي وديكارت، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1996.

محمود الطناحي وطاهر الزواري؛ النهاية في غريب الحديث ,دار إحياء للكتب العربية ، مصر, ط1, 1993.

1. ميثم الجنابي, الغزالي, ج1, دار المدى للثقافة والنشر, دمشق, 1998.

يوسف ميخائيل ؛ سيكولوجية الشك, دار غريب للطباعة والنشر, القاهرة ,1998.

S.R. Shafaq. Some Abiding Teaching of AL-ghazali, The Muslim World, V.44, 1954,

1. محمود الطناحي وطاهر الزواري؛ **النهاية في غريب الحديث** ,دار إحياء للكتب العربية ، مصر ,ط1, 1993,ص157. [↑](#footnote-ref-1)
2. إبراهيم مصطفى؛ **المعجم الوسيط** ,ط1 ,مجمع للغة العربية ,ص490. [↑](#footnote-ref-2)
3. يوسف ميخائيل ؛ **سيكولوجية الشك**, دار غريب للطباعة والنشر, القاهرة, 1998,ص22. [↑](#footnote-ref-3)
4. 1) احمد براهيم محمد ؛الشك اسبابة واثارة وعلاجة ,رساله ماجستير,جامعة ام القرى,2007,ص13. [↑](#footnote-ref-4)
5. 1) عمر رضا كحالة**؛ معجم المؤلفين**, مطبعة الترقي دمشق ,1960,ص210. [↑](#footnote-ref-5)
6. 1) توفيق الطويل ؛ **أسس الفلسفة**, دار النهضة العربية القاهرة ,1990,ص314. [↑](#footnote-ref-6)
7. 1) توفيق الطويل ؛**مصدر سبق ذكره** ,ص315. [↑](#footnote-ref-7)
8. 1) عبد الحليم محمود؛ المنقذ من الضلال للغزالي ,ط8,دار الكتب الحديثة,1974,ص89. [↑](#footnote-ref-8)
9. 1) عبد الحليم محمود؛ مصدر سبق ذكره , ,ص89. [↑](#footnote-ref-9)
10. 1) محمد عقيل المهدلي؛ المنهج الفلسفي عند الغزالي وديكارت، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1996م، ص155-160. [↑](#footnote-ref-10)
11. 1) محمد عقيل المهدلي؛ مصدر سبق ذكره، ص155-160. [↑](#footnote-ref-11)
12. 1) توفيق الطويل ؛**مصدر سبق ذكره** ,ص307. [↑](#footnote-ref-12)
13. 2) محمد زقزوق؛ الفلسفة ومشكلة الشك ,مجلة الحكمة ,العدد الأول السنة الأولى ,1976,ص134. [↑](#footnote-ref-13)
14. 2) محمد زقزوق؛ مصدر سبق ذكره ,ص135. [↑](#footnote-ref-14)
15. 1) توفيق الطويل ؛**مصدر سبق ذكره** ,ص256. [↑](#footnote-ref-15)
16. 1) الزنيدي عبد الرحمن بن زيد؛ **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي**، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1992,ص67. [↑](#footnote-ref-16)
17. 2) اراهيم قريط؛ **النظرية المادية في المعرفة** ,دار دمشق للطباعة والنشر ,بدون تاريخ ,ص7 . [↑](#footnote-ref-17)
18. 1) احمد براهيم محمد ؛مصدر سبق كره ,ص57. [↑](#footnote-ref-18)
19. 1) احمد براهيم محمد ؛مصدر سبق كره ,ص60-62. [↑](#footnote-ref-19)
20. 1) الإيجي؛ المواقف بشرح الجرجاني، القسطنطينية، الجزائر، 1286هـ ,ص42-43. [↑](#footnote-ref-20)
21. 1) محمد عقيل المهدلي؛ مصدر سبق ذكره ,ص162. [↑](#footnote-ref-21)
22. 1) احمد براهيم محمد ؛مصدر سبق كره ,ص63. [↑](#footnote-ref-22)
23. 1) احمد براهيم محمد ؛مصدر سبق كره ,ص64. [↑](#footnote-ref-23)
24. 1) جميل صليبا وكامل عياد ؛الغزالي المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال, دار الاندلس, بيروت,1994, ص78. [↑](#footnote-ref-24)
25. 1) علي بو ملحم؛ الغزالي ميزان العمل, دار ومكتبة الهلال, بيروت, 1995, ص222. [↑](#footnote-ref-25)
26. 2) الغزالي, احياء علوم الدين, ج3, دار الفكر, بيروت, ص 75. [↑](#footnote-ref-26)
27. 1) S.R. Shafaq. Some Abiding Teaching of AL-ghazali”, The Muslim World, V.44, 1954, p.44 [↑](#footnote-ref-27)
28. 1) ميثم الجنابي؛ **الغزالي**, ج1, دار المدى للثقافة والنشر, دمشق, 1998, ص40. [↑](#footnote-ref-28)
29. 1) جميل صليبا وكامل عياد ؛ مصدر سبق ذكره, ص87. [↑](#footnote-ref-29)
30. 1) جميل صليبا وكامل عياد ؛ مصدر سبق ذكره, ص86-88. [↑](#footnote-ref-30)
31. 1) جميل صليبا وكامل عياد ؛ مصدر سبق ذكره, ص89. [↑](#footnote-ref-31)
32. 1) صالح حسن الداهري :**أساسيات علم الإجتماع النفسي التربوي ونظرياته**،ط1،دار ومكتبة الحامد للنشر،عمان ،2010،ص164 [↑](#footnote-ref-32)
33. 1) قيس هادي احمد :**نظرية العلم عند فرانسيس بيكن** ، دار الشؤون الثقافية ،ط2،بغداد,1986,ص124. [↑](#footnote-ref-33)